

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

### ما معنى هذا القول ؟

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس التاسع من سير التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، والتابعي الجليل اليوم هو محمد بن سيرين .

نقف وقفة متأنية عند من وصفه، فقال: (ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه، ولا أروع في فقهه، من محمد بن سيرين)

معنى هذا القول؛ أن هناك من الرجال من هو فقيه، لكنه ليس ورعاً، ومن هو ورع، لكنه ليس فقيهاً، فأن تجمع بين الفقه والورع هذه صفة جلييلة في الإنسان .

أيها الأخوة، التطرف سهل، لكن أن تجمع بين النقيضين، فهذا يحتاج إلى بطولة، مثلاً: أن تكون ليناً، فالقضية سهلة، أن تكون قاسياً أسهل، لكن أن تجمع بين القساوة واللين، هنا البطولة، أن تكون مرهوباً، فقضية سهلة، أن تكون مرغوباً أسهل، أما أن تكون مرهوباً مرغوباً، فهذا من البطولة بمكان .

لذلك المرهوب دائماً لو أنهم تطرفوا إلى إحدى الصفتين لسقطوا، فلا تكن ليناً فتعصر، ولا قاسياً فتكسر .  
إن الله عز وجل وصف الأنبياء بأنهم يعبدون الله رغياً ورهباً، خوفاً وطمعاً، فكما قلت قبل قليل: الحالة المتطرفة سهلة، لكن أن تجمع بين اللين والقسوة، وبين الرهبة والرغبة، وأن يرجوك الإنسان، وأن يخافك في وقت واحد .  
أن تكون فقيهاً، فقضية سهلة، تحتاج إلى ذكاء، وإلى مطالعة، وإلى قراءة، وإلى حفظ، لكن أن تجمع بين الفقه والورع، أو أن تجمع بين الورع والفقه، فهنا البطولة، لذلك قالوا: الفضيلة وسط بين طرفين .

ترك الدنيا سهل، وترك الآخرة سهل، ولكن البطولة أن تجمع بينهما، ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعاً، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة، ولا تكونوا كلا على الناس .

أن توحد، ربما حملك التوحيد على أن تكون قاسياً مع الناس، وأن تغرق في الحب على حساب التوحيد، فهذا منزلق أيضاً، لكن أن تجمع بين التوحيد والحب، فهذه بطولة الأبطال .

لا يوجد رجل على وجه الأرض أحبَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كالصديق، لكن حينما مات النبي عليه الصلاة والسلام ما حمله حبه له أن يخرج عن قواعد التوحيد، قال أبو سلمة:

((فَأَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ فَأَبَى، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَأَبَى، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ: أَمَا بَعْدُ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ..... إِلَى الشَّاكِرِينَ﴾

وَاللَّهُ لَكَانَ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا، حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَتَلَّهَا مِنْهُ النَّاسُ، فَمَا يَسْمَعُ بِشَرِّ إِلَّا يَنْتَلُوهَا)) أحياناً يوحد الإنسان مع قسوة، أخي أنا رزقي على الله، ولست بحاجة إليك، أما سمع بحديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ))

أحياناً التوحيد يحمل الإنسان على مواقف فظة، وأحياناً الحب الشديد يحمل الإنسان على الشرك، تحبه حتى تعبده من دون الله، فالبطولة أن تجمع بين التوحيد والحب، بين الدنيا والآخرة، بين الرجاء والخوف، بين الرهبة والرغبة، بين أن تكون ورعاً، وبين أن تكون فقيهاً.

هناك أشخاص عندهم ورع، كل شيء عندهم حرام، كلما سئل أحدُهم، قال: هذا حرام حرام، حتى عطل بذلك الحياة، ليس هذا هو الفقه، أن تدرأ المسؤولية بالتحريم، هذا ليس فقهاً، يجب أن تعطي الفتوى التي أنت منها واثق مع الدليل، أن تعطي الرخصة، إذا كان هناك رخصة، فالفقهاء الكبار يفتون لأنفسهم بالعزائم، وللمسلمين بالرخص رحمةً بهم، خذ نفسك بالعزيمة، هذا فضيلة فيك، أما أن تحمل الناس على العزائم، وأن ترهقهم، وأن تهلكهم، فليس هذا هو الورع .

إذاً: أيها الأخوة، أعجبتني كلمة الذي وصف هذا التابعي الجليل: ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه، ولا أروع في فقهه، ورع مع فقه، فقيه مع ورع، ولا تتسوا أن ركعتين من ورع خير من ألف ركعة من مخلط .

## ما هي حرفة والد ابن سيرين، وماذا عن العمل في الإسلام ؟

عزم سيرين-الحديث عن محمد بن سيرين-، فإذا قلنا: عزم سيرين، فهو أبوه، عزم سيرين على أن يستكمل شطر دينه بعد أن حرر أنس بن مالك رضي الله عنه رقبته .

إذاً: والد محمد بن سيرين كان مملوكاً لسيدنا أنس بن مالك، وبعد أن غدت حرفته تدرُّ عليه الربح الوفير، والخير الكثير، فقد كان نحاساً ماهراً، يتقن صناعة القدور .

سيدنا عمر، يقول: (إني أرى الرجل لا عمل له فيسقط من عيني، وقيمة كل امرئ ما يحسنه).

أنا لا أنسى هذه القصة التي رواها أنس بن مالك؛ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ: فَقَالَ:

((أَمَا فِي بَيْنِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: بَلَى، حَلَسْتُ نَلْبَسُ بَعْضَهُ، وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ - إِنَاءٌ - نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: أَنْتِنِ بِهِمَا، قَالَ: فَآتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟ قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذُهُمَا بِدِرْهِمٍ، قَالَ: مَنْ يَزِيدُ عَلَيَّ دِرْهِمَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذُهُمَا بِدِرْهِمَيْنِ - المزايدة واردة - فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدَّرْهِمَيْنِ، وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَانْتِنِ بِهِ، فَآتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُوْدًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَاحْتَطَبْ وَبِعْ، وَلَا أَرَيْنَكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطَبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لثَلَاثَةِ؛ لَذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لَذِي غُرْمٍ مُفْطَعٍ، أَوْ لَذِي دَمٍ مُوجِعٍ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

فكل إنسان له حرفة، تجارة، صناعة، فهذا شرف، والإنسان يكتسب شرفه من عمله، ومن حرفته، ومن صنعته، وكان أصحاب رسول الله رهباناً في الليل، فرساناً في النهار .  
أنا أعجب لهذا المؤمن المتفوق في عمله، المتقن لعمله، الذي يكسب قوت يومه، ويده عليا، وهو في الصف الأول في مجالس العلم، وهو في مقدمة المؤمنين، والعار أن ترتكب العار، والعار ألا تعمل، فالعمل مقدس .  
سيدنا عمر يقول لأحد الولاة: (إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإن لم تجد في الطاعة عملاً، التمتست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية) .

إن العمل عبادة، وهذا يضطرنني مرة بعد مرة إلى أن أقول لكم: إن حرفة الإنسان إذا كانت في الأصل مشروعة، وتعامل معها الرجل بطريقة مشروعة، وابتغيت بها كفاية نفسك وأهلك، وابتغيت بها خدمة المسلمين، ولم تشغلك عن فريضة، ولا عن طلب علم، انقلبت هذه الفريضة إلى عبادة .  
فأنت في دكانك، أو في مكتبك، أو في حقلك، أو في وظيفتك، أو في عيانتك، أنت من عباد الله عز وجل .  
مرة بعد مرة أقول لكم: النبي رأى رجلاً يصلي في المسجد في غير أوقات الصلاة، قال:

((من يطعمك؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك، الصحابة الكرام أثنوا على رجل ثناء طيباً، قال عليه الصلاة

والسلام: من يطعمه؟ قالوا: كلنا يطعمه، قال: كلكم أفضل منه))

بصراحة أقول لكم: لا أحد يحترمك، ولا يحترم دينك إلا إذا كنت متفوقاً في عملك، ويمكن أن تكون أكبر داعية في عملك، وأنت ساكت، من خلال إتقانك للعمل، وإحسانك في المعاملة، والصدق والأمانة .  
أكبر دولة إسلامية الآن ما هي؟ إندونيسيا، فيها مائة وخمسون مليون مسلم، هذه أكبر دولة إسلامية في العالم، إنما دخلها الإسلام عن طريق التعامل التجاري، لا عن طريق الجهاد، ولا عن طريق السيف، وهذا مصداق ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام، كما في حديث أبي سعيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:  
((التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

لا لأنه ربح المال الوفير، واستمتع به، بل لأنه أعطى نموذجاً كاملاً للمسلم .

رجل يبيع البيض، جاءه زبون، فقال له: عندك بيض، قال له: نعم، قال له: طازج، قال: لا والله، ليس طازجاً، الطازجُ عند جاري، هذا المسلم لا يكذب أبداً، والله يرزقه .

لو لبس الإنسانُ لباساً متبذلاً في أثناء العمل، ولو كان عمله مع الزيوت والشحوم، فهذا عمل نظيف .  
قال لي رجل مرةً يعمل عملاً أساسه إيقاع الأذى بالآخرين، ما رأيت مكتباً أفخم من مكتبه، قال لي بالحرف الواحد: أنا عملي قذر، لحكمة بالغة في اليوم التالي ذهبت لأصلح مركبتي عند أخ كريم، في أيام الشتاء، والطريق وحل، وهو يلبس ثياب العمل، أزرق على أسود، كله شحم وزيت، واستلقى تحت المركبة وفكَّ الجهاز، ما شعرتُ إلا وهو يقوم بأنظف عمل، في العين الظاهرة العمل فيه وحل وزيت وشحم، ولكنه يقوم بأنظف عمل، لأنه عمل شريف، لقد قدّم خدمة، وأخذ أجرها بشكل معتدل .

كلمة نظيف عميقة جداً؛ لا تعني أن المكان نظيف، تعني طريقة الكسب نظيفة .  
أكثر أماكن اللهو فيها أناقة ما بعدها أناقة، لكنها أماكن قذرة، مبنية على تحطيم الإنسان، وعلى إفساده، والمرأة هناك سلعةٌ محتقرة، أما محل متواضع في سوق شعبي، بيع وشراء، فهذا عمل شريف ونظيف، فابحث عن النظافة في التعامل .

### إليك قصة زوج والد محمد بن سيرين :

وقد وقع اختياره على مولاة لأمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، تُدعى صفية لتكون زوجة له .  
والده مملوك عند سيدنا أنس بن مالك، تزوج مولاة سيدنا الصديق اسمها: صفية، كانت صفية جارية في بواكير الشباب، وضيئة الوجه، ذكية الفؤاد، كريمة الشمائل، نبيلة الخصائل، محببة إلى كل من عرفها من نساء المدينة، وكانت أشدَّ النساء حباً لها زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا سيما السيدة عائشة .  
تقدّم سيرين إلى أمير المؤمنين فخطب منه مولاته صفية، فبادر الصديق رضي الله عنه إلى البحث عن دين الخاطب وخلقه، كما يبادر الأب الشفيق للبحث عن حال خاطب ابنته.  
بالمناسبة؛ أنا الذي أراه أنه إذا كان لصحابي مولى، فهذا المولى لا يختلف إطلاقاً عن الابن، بل أن يكون الإنسان مولى لمؤمن، القصدُ من ذلك أن يرى الإسلام عملياً، فهذا الذي أغلق عقله عن أن يفهم الإسلام، ربما فهمه بالتعامل الإنساني، هذا أصل أن يكون الإنسان مولى أو مولاة .  
مضى يستقصي هذا الصحابي الجليل الصديق أحوال سيرين أشد الاستقصاء، ويتتبع سيرته أدق التتبع، وكان في طليعة من سألهم عنه أنس ابن مالك، فقال له أنس: (زوجها منه يا أمير المؤمنين، ولا تخش عليها بأساً، فما عرفته إلا صحيح الدين، رضي الخلق، موفور المروءة، ولقد ارتبطت أسبابه بأسبابي منذ سباه خالد بن الوليد .  
وافق الصديق على تزويج صفية من سيرين، وعزم على أن يبرهما كما يبرّ الأب الشفيق ابنته الأثيرة، فأقام لإملاكهما حفلاً قلما ظفرت بمثله فتاة من فتيات المدينة، وقد شهد إملاكها طائفة كبيرة من كبار الصحابة، كان فيهم ثمانية عشر بدرياً .

- فإذا كان الإنسان ميسور الحال، وزوج ابنته، أو زوج ابنه، وأقام حفلاً كريماً فيه مديح لرسول الله، وقدم الطعام، وقدم الضيافة، فهذه فرحة لا تتسى .

أنا من أنصار أن يُعلن النكاح، ومن سنة النبي عليه الصلاة والسلام إخفاء الخطبة، وإعلان النكاح، وأن يُقام عقد قران يُدعى له أقرباء الزوجين العروسين، وتُقدم فيه الضيافة، وتُلقى كلمات تُعرّف الناس بربهم، وبنبيهم، هذا عمل طيب، ولكن لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

أحياناً بعض الآباء يحب أن يوفر، هي فرحة في العمر، تبقى غصة في قلب الفتاة طوال حياتها، ويبقى عدم الاحتفال غصة في قلب العروس طوال حياته .

فقد شهد إملأها طائفة كبيرة من كرام الصحابة، فيهم ثمانية عشر بديراً، ودعا لها كاتب وحي رسول الله أبي بن كعب، وأمن على دعائه الحاضرون، وطيبتها وزينتها حين زُفت إلى زوجها ثلاثاً من أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عليهم أجمعين، والنكاح من سنة النبي عليه الصلاة والسلام) .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ:

((جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بَيْوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَمَّا أَفْطَرْتُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ، وَأَتَقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي))

[متفق عليه، أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

وكلكم يعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام، يقول:

((ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ؛ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعُقُوفَ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

ما من شاب يغض بصره، ويحفظ فرجه، فهذا الإنسان حق على الله أن يعينه إذا طلب العفاف، وهناك آلاف القصص التي تؤكد هذه الحقيقة .

**متى ولد محمد بن سيرين، وعمن أخذ العلم، وما هو الموطن الذي استقر فيه ؟**

ولد محمد بن سيرين لسنتين بقبينا من خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ورُبي في بيت يتبوا الورع والتقى من كل ركن من أركانه، ولما أيفع الغلام الأريب اللبيب وجد مسجد رسول الله .  
إن رواد المساجد مباركون، رواد المساجد وطلاب العلم تضع الملائكة تضع أجنحتها لهم رضي بما يصنعون، رواد المساجد مؤمنون ورب الكعبة، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾

[سورة التوبة الآية: 18]

رواد المساجد هم المباركون؛ لأنه خير البلاد مساجدها، وشرها أسواقها، فلا يرضن الإنسان على نفسه بساعتين في الأسبوع أو ثلاث ساعات .

الأسبوع كم ساعة، أتعرفون؟ مائة وثمان وستون ساعة، فإذا خصّص الإنسان منها أربع ساعات لمعرفة الله ومعرفة الدار الآخرة، وأربع ساعات مواصلات، فهذه ثماني ساعات، فلا مانع من أجل أن تعرف الله، من أجل أن يرضى الله عنك، من أجل أن يُبنى الإيمان لبنة لبنة .

لا يوجد إنسان عظيم إلا إذا ارتاد المساجد، وجلس على ركبته ليطلب العلم، لا يوجد إنسان متألق إلا وتتلمذ، وأخذ العلم عن الرجال، إنسان يتألق بالعلم، ولا يرتاد المساجد، هذا مستحيل .

هذا التابعي تلقى العلم عن كبار الصحابة والتابعين، تلقى العلم عن زيد بن ثابت، وأنس ابن مالك، وعمران بن حصين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأبي هريرة .

حدثني أحد أخواننا الكرام، وكان له دعوة إلى الله، عنده طالب تركي، فوكلّ بعض أخوانه بتعليمه، تعلم وأخذ شهادة، وعاد إلى بلده، وبعد عدة سنوات، طُرق باب الشيخ، فإذا بمركبتين كبيرتين تُقلّان مائة طالب علم، كلهم تلامذة هذا الطالب الذي درس العلم على يد هذا العالم، يقول هذا العالم وهو ييكي: يا رب، أنا علمت واحداً، وكان من آثار هذا الواحد كل هؤلاء .

فكان تلاميذ الشيخ يمزحون معه، وهم قد علموه، يسألونه حينما تذهب إلى تركيا إذا سُئلت: من شيخك، من تقول؟ فأغفل أسماءهم، وذكر اسم شيخه الكبير، قال: أنتم لا أحد يعرفكم، أنا تلميذ فلان .

هي طرفة، الإنسان يفخر بأستاذه، فكيف بزيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وعمران بن حصين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأبو هريرة؟ هؤلاء أساتذة هذا التابعي الجليل، الذين أُقبل عليهم إقبال الظامئ على المورد العذب، فنهل من علمهم بكتاب الله، وفقههم بدين الله، وروايتهم لحديث رسول الله، فما أفعم عقله حكمة وعلماً، وأترع نفسه صلاحاً وهداية، ثم انتقلت الأسرة مع فتاها إلى البصرة، واتخذتها لها موطناً .

أتلاحظون البصرة كيف جذبت لها طلاب العلم؟ كانت البصرة يومئذ مدينة بكرراً، اختطها المسلمون في أواخر خلافة الفاروق عمر، وكانت تمثل جُلّ خصائص الأمة الإسلامية، ومركزاً من مراكز التعليم والتوجيه للداخلين في دين الله، وصورة للمجتمع الإسلامي الجاد الذي يعمل لندياه، كأنه يعيش أبداً، ويعمل لآخرته، كأنه يموت غداً .

### إليكم نمط الحياة الجديدة التي اتخذها ابن سيرين في البصرة :

محمد بن سيرين سلك في حياته الجديدة في البصرة طريقين متوازيين، فجعل شطراً من يومه للعلم والعبادة، وشطراً آخر للكسب والتجارة .

أحياناً ألتقي بأخ في عمله، في دكانه منتج، ومساءً في المسجد، واللّه شيء جميل أن تجمع بين الكسب الحلال، وبين طلب العلم .

فهذا التابعي الجليل جعل شطراً من حياته من يومه للعلم والعبادة، وشطراً آخر للكسب والتجارة، فكان إذا انبلج

الفجر، وأشرقَت الدنيا، غداً إلى المسجد يعلم ويتعلم، حتى إذا ارتفع النهار، مضى إلى السوق يبيع ويشترى، فإذا جاء الليل صفَّ في محراب بيته، وانحنى على أجزاء القرآن يبكي، ويتلو كتاب الله في صلاته، والله شيء جميل . كان يطوف في السوق في النهار للبيع والشراء، ومع ذلك لا يفتأ يذكر الناس بالآخرة. أنت تاجر، وأنت عامل، وأنت صانع، وأنت في عيادتك، ذكرَّ الناس بالله، كن داعية في أثناء العمل، هناك أشخاص ليس عندهم إمكانية، تتداخل معهم الأمور، هذا الزبون انصح، فيه خير، سمته حسن، ذلَّه على الله، ادعُه إلى المسجد، أعطه شريطاً، لعل هذا الزبون يصير من كبار المؤمنين عن طريقك، قم بتجارتين؛ تجارة مع الله، وتجارة مع البضاعة، فإذا دعوت إلى الله تاجرت مع الله، لقد سمَّاها الله تجارة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة الصف الآية: 10-11]

أحياناً يقول لي أخ: والله فلان قدر الله هدايته على يدي، هو كان زبوناً من زبائننا، أقول له بشكل عفوي: هذه هي التجارة الحقيقية .

التجارة المادية جمعت الأموال، وقد تتفققها، وقد تتحول إلى غيرك، لكن هذا الذي دلَّته على الله من خلال التجارة، أنت الآن تاجر حقاً، حتى انتهى بك السعي إلى هداية هذا الإنسان.

كان يطرفهم ويرشدهم إلى ما يقربهم إلى الله، ويفصل فيما يشجر بينهم من خلاف، وكان يطرفهم بين الحين والحين بالملحة التي تسمح لهم عن نفوسهم المكدودة، من غير أن ينقص ذلك من هيئته، ووقاره عندهم شيئاً . فإذا مع الإنسان شيء من الدعابة، لطيف، مرح، فهذا جائز وضروري، وقد كان النبي يمزح، فأحياناً المزاح اللطيف يجدد النشاط، والمعلمون الذين يتخيرون بعض الطرف اللطيفة الأدبية، هؤلاء يجددون نشاط طلابهم . لا يكن الأب عبوساً قمطيريراً، فلا بد أن يمزح الأب مع أولاده مزاحاً لطيفاً، فأنسهم وابتسم لهم، كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، وكان يمزح، ولا يمزح إلا حقاً، وإنَّ الدعابة من صفات المؤمنين . كان الناس إذا رأوه في السوق، وهم غارقون غافلون انتبهوا، وذكروا الله عز وجل، وهلَّوا وكبروا . كان في سيرته العملية خير مرشد للناس، فما عرض له أمران في تجارته إلا أخذ بأوثقهما في دينه، ولو كانت فيها خسارة تصيب دنياه، وإن كان فيها شبهة تركها، فهو دائماً مع الحلال، ترك شبهة الربا، يبيع بسعيرين تركه، يبيع لأجل مع زيادة الثمن تركه، فأَيُّ قضية فيها شبهة تركها، واستوثق لدينه .

### من مواقف ابن سيرين :

له مواقف غريبة، ولكنها ليست غريبة، لقد ادعى رجل عليه كذباً أن له في ذمته درهمين، فأبى أن يعطيه إياهما، فقال له الرجل: (أتحلف؟ وهو يظن أنه لا يحلف من أجل درهمين، فقال: نعم، وحلف له، فقال له الناس: يا أبا بكر، أتحلف من أجل درهمين، وأنت الذي تركت أمس أربعين ألف درهم في شيء رابك مما لا يرتاب منه غيرك؟

فقال: نعم، أحلف، -فما التعليل؟ لأنه لو لم يحلف لأكل هذا الإنسان الدرهمين حراماً من الإثم- قال: نعم أحلف، فأني لا أريد أن أطعمه حراماً، وأنا أعلم أنه حرام).

أنت مؤمن، ادعى رجلٌ عليك زوراً وبهتاناً مبلغاً من المال، فقلت: لكن ليس لك عندي شيء، ولو تساهلت معه لأطعمته حراماً، وكننت أنت السبب، لأنك أفسدته، وفتنته في دينه.

إن المسلم دقيق، العطاء عطاء، الحق حق، تريد مساعدة، فهذه مساعدة، أو صدقة فهي صدقة، لكن ليس لك عندي شيء، هذا موقف دقيق، تتساهل أنا لا أحلف، فتطعمه مالاً حراماً، وأنت السبب، المؤمن أمره دقيق، مضبوط، عنده حسابات دقيقة.

### ما هي الصورة الجميلة التي كان يتمتع بها ابن سيرين في خلقه؟

أجمل ما في هذا التابعي الجليل؛ أن مجلسه كان مجلس خير وبرٍّ وموعظة، فإذا ذُكر عنده رجلٌ بسوء، بادرَ فذكره بأحسن مما يعلم من أمره.

تعرفون القصة، عندما كان النبي بغزوة، فنفق أحد الصحابة كان متخلفاً، فغمز رجل، قال:

((يا رسول الله، شغله بستانه عن الجهاد معك، فانبأ صحابي جليل، وقال: لا والله يا رسول الله، لقد تخلف

عك أناس ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو علموا أنك تلقى عدوا ما تخلفوا، عندها سرَّ النبي كثيراً))

مرة سمع رجلٌ يسبُّ الحجاج بعد وفاته، فقال له: (صه يا ابن أخي، إن الحجاج مضى إلى ربه.

-انظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حينما أسلم عكرمة بن أبي جهل لم يكن إنسان أعدى من أبيه، فالنبي عليه الصلاة والسلام حينما أسلم عكرمة قال لأصحابه:

((يأتاكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميت))

فأمام هذا التابعي الجليل رجلٌ سبَّ الحجاج، فقال له: صه يا ابن أخي، إن الحجاج مضى إلى ربه، وإنك حين تقدم على الله عز وجل ستجد؛ أن أحقر نذوب ارتكبه في الدنيا أشد على نفسك من أعظم نذوب اجترحه الحجاج، -هذا من شأن الله عز وجل، فدعك من هذا كله.

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من حَسُنَ إِسْئَامِ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

فلكل منكما يومئذ شأن يغنيه، واعلم يا ابن أخي، أن الله جل وعز سوف يقتص من الحجاج لمن ظلمهم، كما

سيقتص لحجاج ممن يظلمونه، فإذا ظلم اقتص الله منه، لكن إذا كنت أيضاً ظلمته، فسوف يقتص الله منه، فلا

تشغلن نفسك بعد اليوم بسبِّ أحد))

ورد في الأثر القدسي:

((أنا ملك الملوك، ومالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فإن أطاعني العباد حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة

والرحمة، وإن هم عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك،  
وادعوا لهم بالصلاح، فإن صلاحهم من صلاحكم))

الإمام مالك؛ إمام دار الهجرة، يقول: (لو أن لي دعوة مستجابة لادخرتها لأولي الأمر، لأن في صلاحهم صلاح الأمة).

عود نفسك على الدعاء لا على السباب .

### ابن سيرين من أولئك الرجال الذين لا يخافون في الله لومة لائم :

لهذا التابعي الجليل مواقف من ولاية بني أمية، من ذلك: أن عمر بن هبيرة الفزاري رجل بني أمية الكبير، وواليهم على العراقيين، بعث إليه يدعوهم إلى زيارته، فمضى إليه ومعه ابن أخيه، فلما قدم عليه، رحّب به الوالي، وأكرم وفادته، ورفع مجلسه، وسأله عن كثير من شؤون الدين والدنيا، ثم قال له: (كيف تركت أهل مصر يا أبا بكر؟ قال: تركتهم والظلم فيهم فاش، وأنت عنهم لاه، فغمزه ابن أخيه بمنكبه، فالتفت إليه، وقال: إنك لست الذي تُسأل عنهم، وإنما أن الذي أسأل، ومن أمانة العلم تبيّنه، وإنها لشهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه .

لما انفض المجلس ودّعه عمر بن هبيرة بمثل ما استقبله به من حفاوة وإجلال، وبعث إليه بكيس فيه ثلاثة آلاف دينار فلم يأخذها، قال له ابن أخيه: ما يمنعك أن تقبل هبة الأمير؟ قال: إنما أعطاني لخير ظنه بي، فإن كنت من أهل الخير كما ظن، فما ينبغي لي أن أقبل، وإن لم أكن كما ظن، فأحرى بي ألاّ أستبيح قبول ذلك) .

### ما سبب دخول ابن سيرين السجن ؟

اشترى مرة زيتاً بأربعين ألفاً مؤجلة، فلما فتح أحد زقاق الزيت، وجد فيها فأراً ميتةً منفسخة، فقال في نفسه: إن الزيت كله كان في المعصرة في مكان واحد، وإن النجاسة ليست خاصة بهذا الزق دون سواه، وإنني إن رددته للبائع بالعيب فربما باعه للناس، ثم أراقه كله، فأصبح عليه دين أربعين ألف دينار .

طالبه صاحب الزيت بما له، فلم يستطع سداً، رُفِع أمره إلى الوالي، فأمر بحبسه حتى يسدّد ما عليه، فلما صار في السجن، وطال مكوثه فيه، أشفق عليه السجان لما علم من أمر دينه، وما رأى من شدة ورعه وطول عبادته .

دخل السجن خوفاً من الله، وخوفاً من أن يُحرق في النار يوم القيامة، فصاحب السجن عرف قصته، إنه رجل ورع جداً، قال: (أيها الشيخ، إذا كان الليل، فاذهب إلى أهلك وبت معهم، فإذا أصبحت فعُدْ إلي . أنت إنسان عظيم، دخلت هذا السجن من شدة ورعك، واستمرّ على ذلك حتى يُطلق سراحك، كل يوم نمّ عند أهلك، فقال: لا والله، لا أفعل، قال: ولم، أنا أسمح لك؟ قال: حتى لا أعينك على خيانة ولي الأمر، أنت تخون ولي الأمر بهذا العرض، فإذا قبلتُ هذا العرض، أعتنك على خيانة ولي الأمر) .

### ما رأيك في هذا الموقف لابن سيرين ؟

لما احتضر أنس بن مالك، أوصى بأن يغسله محمد بن سيرين، ويصلي عليه، وكان ما يزال سجيناً، فلما توفي جاء الناس إلى الوالي، بوصية صاحب رسول الله وخادمه، واستأذنه أن يخلي سبيل محمد بن سيرين لإنفاذ الوصية، فقال لهم محمد بن سيرين: (لا أخرج حتى تستأذنوا صاحب الدين، والإذن ليس من الوالي، بل من صاحب الدين . -إذا أراد الرجل أن يحج بمال، وعليه دين فلا يُقبل حجُّه إلا إذا استأذن صاحب الدين، والذي عليه دين يحرم عليه أن يأكل لونين من الطعام، ونوعين من الفاكهة .  
رجل مدين لك بمبلغ من المال، وأنت تأكل نوعين أو ثلاثة من الطعام، وأربعة أنواع فواكه، وخير إن شاء الله، لا يوجد معنا الآن، هذه قلة مروءة- .

فأذن له الدائن، عند ذلك خرج من سجنه، فغسل أنساً، وكفنه، وصلى عليه، ثم رجع إلى السجن كما هو، ولم يذهب لرؤية أهله؛ لأن الإجازة فقط لتغسيل الميت، أما لأهله لم يذهب .

### ما هي المدة التي استغرقها ابن سيرين في الحياة الدنيا ؟

عمر محمد بن سيرين حتى بلغ السابعة والسبعين، فلما أتاه اليقين، وجده خفيف الحمل من أعباء الدنيا، كثير الزاد لما بعد الموت .  
أخواننا الكرام، من حاسب نفسه حساباً عسيراً في الدنيا، كان حسابها يوم القيامة يسيراً، ومن حاسب نفسه في الدنيا حساباً يسيراً، كان حسابها يوم القيامة عسيراً .

### رؤيا صالحة :

حدثت حفصة بنت راشد، وكانت من العابدات، قالت: (كان مروان بن المحملي لنا جاراً، وكان ناصباً في العبادة، مجتهداً في الطاعة، فلما مات حزناً عليه حزناً شديداً، فرأيتُه في المنام، قلت: يا أبا عبد الله، ما صنع الله بك؟ قال: أدخلني الجنة، قلت: ثم ماذا؟ قال: رُفعت إلى أصحاب اليمين، قلت: ثم ماذا؟ قال: رُفعت إلى المقربين، قلت: فمن رأيت هناك؟ قال: الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، من المقربين) .  
كله بئمنه؛ ورع، مجتهد، صائم، مُصلِّ، دخلك حلال، إنفاقك حلال، بيتك إسلامي، عملك إسلامي، فأنت من المقربين، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾

[سورة الواقعة الآية: 88-89]

والحمد لله رب العالمين